La Revue Marocaine de Psychologie
المجلة المغربية لعلم النفس

التكوين السيكوسوسيولوجي للمدرس. مدخل أساس لإصلاح منظومة التربية والتعليم.

الرخاء عبد الفتاح Er-rakha Abdelfettah
a.errakha@gmail.com
شعبة علم النفس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس –الرباط

تاريخ النشر بالمجلة المغربية لعلم النفس : 2023/03/19

ملخص

يدعونا تناول الحديث في موضوع التكوين السيكوسوسيولوجي للمدرس بصفة عامة إلى تأكيد الأهمية البالغة، التي تكتسيها الحاجة إلى تأسيس ما يمكن أن نسميه بالمقاربة السيكوسوسيولوجية لتكوين المدرسين، خاصة في العصر الراهن- عصر مجتمع المعرفة وعصر تعقد الواقع النفس- اجتماعي للأفراد، وصعوبة مهنة التدريس. وذلك اعتبارا لما أصبحت تكتسحه الدراسات والأبحاث في علم النفس الاجتماعي social psychology بصفة عامة من ساحة العلوم النفسية والتربوية والاجتماعية. لا يعني هذا بطبيعة الحال أي تلميح أو توجه إلى فصل مقاربة عن أخرى من المقاربات التكوينية، و لكنه، يعني أن إعطاء الجوانب السيكوسوسيولوجية أهمية ثانوية إن لم نقل ملغية، أو هامشية مقارنة بغيرها من المقاربات كما تؤكد ذلك أغلب الدراسات، والتقارير الرسمية، ينعكس انعكاسا مباشرا على الفعل التربوي- التعليمي على اعتبار أن هذا الفعل هو فعل علائقي بامتياز، و الذي يستوجب امتلاك المدرس لمختلف المهارات النفس-اجتماعية، العلائقية، و التدبيرية للرفع من كفايات الأداء، أداء المدرس من ناحية، والتنظيم التربوي من ناحية أخرى.

الكلمات المفتاحية: التكوين، علم النفس الاجتماعي، المدرس، المغرب.

Abstract

Discussing the subject of the psychosociological formation of the teacher invites us to confirm the extreme importance of the social psychology approach to the formation of teachers, especially in the current era of the knowledge society, the complexity of the psychosocial reality of individuals, and the difficulty of the teaching profession. This is in view of what studies and research in social psychology in general have become overwhelming from the arena of psychological, educational and social sciences. This naturally does not mean any hint or orientation to separate an approach from other formative approaches but it means that giving psychosocial aspects secondary importance compared to other approaches, as confirmed by most studies and official reports are directly reflected in the educational act, on considering that this act is a relational act par excellence, which necessitates the teacher's possession of various psycho-social, relational, and management skills to raise the performance competencies, the teacher's performance on the one hand, and the educational organization on the other hand.

Keywords: formation, Social psychology, teacher, Morocco.

تقديم

يحظى قطاع التربية والتعليم في سائر البلدان باهتمام خاص، وبأهمية كبرى وذلك إيمانا بالدور الذي يضطلع به هذا القطاع الحيوي في تنمية، وتطور الفرد، والمجتمع على حد سواء، فهو النور الذي يضيء حياة الإنسان ويضمن رفاهية المجتمع وتقدمه. ولذا يلاحظ الاهتمام المستمر بكل الأبعاد ذات الصلة بمنظومة التربية والتعليم، فتعددت الدراسات والندوات العلمية المتخصصة حول مختلف الجوانب المتصلة بالتعليم والتربية، خصوصا في ظل التحديات والتغيرات التي تعرفها منظومة التربية والتكوين، وبروز تداعيات تجعل من مهمة التعليم قاعدة المواجهة بما يسمى "بمجتمع المعرفة"[1]

و تتعدد العناصر التي من شأنها أن تسهم في تحقيق نجاح العملية التربوية- التعليمية لتشمل: الإدارة التربوية، المدرس، طرق التدريس، و عناصر عديدة أخرى، إلا أن المدرس يحتل مكان الصدارة بين جميع مكونات العملية التعليمية التعلمية، حيث إن إصلاح و نجاح منظومة التعليم رهين من جهة بالارتقاء بمستوى المدرس (إختيارا، وتكوينا، و تدريبا)، ومن جهة أخرى، مراعاة حاجياته المهنية و النفسية الاجتماعية، في أفق تطويره للمنظومة التربوية خصوصا في ظل التطورات التربوية التي يشهدها المغرب في الوقت الحاضر و التي شملت البرامج التعليمية، و المناهج، و الأهداف التربوية، و حتى الخطط المستقبلية، و لعل من أبرز هذه التطورات العمل بنظام التعاقد، و الذي بدأ تفعيله سنة 2017 في قطاع التعليم.

بالإضافة إلى ذلك، تؤكد المؤتمرات الوطنية والدولية على ضرورة الاهتمام بتكوين المدرس والنظر في تطوير البرامج والمقاربات التكوينية في ضوء ما جاءت به نتائج الدراسات العلمية في مجال العلوم النفسية والسيكوسوسيولوجية والتربوية. كما تجدر الاشارة إلا أن التكوين سواء الأساس أو المستمر لدى المدرس يعد الركيزة الأساسية في تجويد الممارسة المهنية، "فالتكوين بشتى أنواعه يبقى من المكونات التي تتطلب إعادة النظر من وقت لآخر، نظرا للتطورات والمستجدات التي تعرفها الساحة التربوية والتعليمية" (إدريس جحيدي، ص 105، 2007).

في هذا السياق، ظهرت إلى حيز الوجود مقاربات وتجارب تكوينية متنوعة تسعى في مجملها إلى اقتراح طرق وأساليب حول كيفية تكوين وإعداد المدرس المستقبلي وتأهيله، ومن بين هذه المقاربات- المقاربة السيكوسوسيولوجية. لقد حظيت هذه الأخيرة باهتمام واسع من قبل مختلف الفاعلين في حقلي التكوين والتربية نظرا لما تفتحه هذه المقاربة العلمية الجديدة من آفاق واعدة وخصبة (نظريا وتطبيقيا) تسمح للمدرسين باستثمار نتائجها في عملية الممارسة المهنية والتجديد التربوي والتحكم في العلاقات البين فردية interpersonal بين المدرس والمتعلمين داخل الفصل الدراسي .

إن موضوع التكوين السيكوسوسيولوجي للمدرسين الذي يروم التحكم في الممارسات الجيدة، لم يطرح عبثا، وإنما، طرح إشكالا لما له من أهمية قصوى في المنظومة التربوية، تفعيلا لأوراش الإصلاح التي تروم تطوير وتجويد القطاع التربوي-التعليمي الوطني والرفع من أدائه ومردوديته في إطار التدابير ذات الأولوية، وهو محور أساس، في الرؤية الاستراتيجية 2015-2030، للتجديد وإصلاح المنظومة التربوية الوطنية في" التدبير رقم 16 الذي يتضمن الرفع من جودة التكوين الأساس للمدرسين" (محمد العلمي، 2017، ص 207).

[1]مجتمع المعرفة هو موضوع كما يرى حدية المصطفى يرتبط بالانتقال الذي نلاحظه اليوم والمتمثل في ولوج مجتمع جديد تهيمن فيه "المعرفة" في بعدها التقاني-العلمي. هذا المجتمع يتميز، بالمعنى الواسع، بضرورة" توفير تعليم جيد و عالي التكوين بواسطة بيداغوجية ملائمة وتجهيزات وأدوات تكنولوجية تستجيب لخصوصيات مجتمع المعرفة، بالتنمية و التحسين المتزايد للقوى العاملة المؤهلة للإنتاج و الابتكار و الابداع" (حدية المصطفى، ص 4، 2018)

في هذا الإطار، وفي ظل ما يعرفه التكوين الديداكتيكي والبيداغوجي من خلاف بين المتخصصين في الأدبيات العلمية، فإن التكوين السيكوسوسيولوجي عامة مازال مرفوضا ولم ينل ما يستحقه من أهمية. يؤكد لوتري (2004) أنه في هذا الوضع الذي يعرفه التكوين النفسي للمدرس، يجب علينا تبيان لمختلف الفاعلين، أهمية التكوين النفس-اجتماعي في المهن العلائقية وخاصة منها مهنة التدريس. وهذا ما تحاول هذه الورقة العلمية الإجابة عنه.

إن وظيفة المدرس اليوم قد تغيرت الى حد ما، إذ لم تعد قاصرة على حشو ذهن الطفل/المتعلم بالمعلومات فحسب، وإنما تمتد إلى الاهتمام برعاية وتنمية مداركه وصقلها وتنمية بنية شخصيته بأبعادها المختلفة (النفسية، العقلية، المعرفية، العلائقية، التربوية والمهنية) لتحقيق أقصى درجة ممكنة من النمو المتكامل من جهة والإسهام في امتلاكه للمهارات التي تؤهله للاندماج في سوق الشغل، ومجتمع المعرفة. إن تناولنا لهذا الموضوع المعقد والآني، والذي تنشغل به اليوم مختلف المؤسسات والمنظمات الدولية، سيتم انطلاقا من ميدان اشتغالنا وتخصصنا في مجال علم النفس الاجتماعي.

الإشكالية

في الآونة الأخيرة، أصبح موضوع تكوين المدرس يحظى بأهمية كبيرة في الدراسات العلمية المتخصصة. هذه الدراسات التي أصبحت وفقا ل Blanchard- laiville and Brossard (2001) موضوعا مقلقا للباحثين منذ 50 سنة، لما لها من فائدة كبيرة في تحسين الممارسة المهنية للمدرسين. حيث يرتكز التكوين الأساس والتكوين أثناء الخدمة على كفايات تساهم في الرفع من الأداء المهني للمدرس وتحسين جودة التعليم .

في هذا الصدد، عرف المغرب، ومازال يعرف الكثير من التحولات والتغيرات التي أثرت بشكل عميق في منظومة التربية والتعليم وفي مهنة المدرس: كبرامج الإصلاح البيداغوجية المتعددة، التغيير في الإطار المهني للمدرس (من أستاذ نظامي إلى أستاذ إطار الأكاديمية)، إدخال التكنولوجيا، إلخ. كما يواجه المدرس اليوم أثناء مزاولة المهنة الكثير من الصعوبات والضغوطات كظاهرة الاكتظاظ؛ العنف المدرسي؛ الضغط المهني؛ غياب معدات العمل؛ توتر العلاقة مع الزملاء ومع الإدارة؛ عدم الرضا عن الراتب؛ الخ، (CSEFRS, 2014, 2018) وكلها إكراهات تؤثر سلبا على صحة المدرس النفس-اجتماعية، وأدائه المهني، وعلاقته بالمتعلمين والزملاء وجميع الأطر التربوية.

وبالرغم من تزايد الاهتمام بتكوين المدرس في السنوات الأخيرة على المستوى الوطني حتى يكون مسايرا للعصر وللتقدم العلمي والمعرفي، وتعقد الواقع النفس-اجتماعي، إلا أن هذا التكوين سواء الأساس منه أو المستمر مازال لم يحظ بالاهتمام الكافي ويلق القبول الحسن في مراكز التكوين بالمغرب، كما أنه مازال موضوع نقاش وجدل خاصة فيما يتعلق بخصائصه ومقارباته .

في هذا السياق، حسب العديد من الدراسات العلمية المتخصصة فإن التكوينات الحالية تعطي أهمية كبيرة للمحتوى البيداغيوجي و الديداكيتيكي في تكوين المدرس (Basco, 2001) في حين يبقى التكوين السيكوسوسيولوجي تكوينا مغفولا عنه و مهملا بالرغم مما يتميز به من فائدة كبيرة في إكساب المدرس المهارات النفس-اجتماعية اللازمة التي تساهم في الرفع من جودة الأداء المهني ضد المواقف الصعبة (Golman, 1999)، و تطوير المهارات اللازمة للتصدي لمخاوف المدرسين و تدبير علاقاتهم مع المتعلمين و المحيط (Lautry, 2004)، من أجل تهيئة الظروف المناسبة لعملية التعلم، مما يطرح فجوة كبيرة بين التكوين و ظروف الممارسة المهنية الفعلية (Martineau, S., et Presseau, A, 2007) . كل هذا أصبح يستدعي مما لا شك فيه ضرورة الاهتمام بالمدرس وتكوينه من كل الجوانب الشخصية والمهنية والسيكوسوسيولوجية، حيث تم الانتقال في تكوين المدرس من التركيز على الجانب المعرفي والديداكتيكي والجانب الشخصي إلى التركيز على الجانب العلائقي والتفاعلي لديه.

فالأساس الذي تستند عليه هذه الورقة العلمية يتمثل من جهة في تسليط الضوء على موضوع التكوين السيكوسوسيولوجي، و أهميته على المستوى الشخصي، و المهني، و العلائقي للمدرس، و من جهة أخرى محاولة إنارة الموضوع للمختصين و الباحثين و المهتمين مما سيسمح بفهم جديد، و تقدم للمعرفة العلمية في موضوع التكوين السيكوسوسيولوجي للمدرس، و جعله مدخلا أساسا لتحقيق جودة الأداء المهني للمدرس، مما يحتم علينا تكوين المدرس سيكولوجيا و سيكوسوسيولوجيا قبل الولوج إلى المهنة و أثناء الخدمة ، و كل هذا رهين بمدى فعالية و تنوع المقاربات و المناهج التربوية المعتمدة في تكوين المدرس، ذلك التكوين المتكامل و القادر على تأهيله نفسيا- اجتماعيا، مهاريا، تربويا، فمعرفيا لمواكبة مستجدات العصر، و مواجهة تحديات مجتمع العولمة، ثم الإسهام في الرفع من كفايات الأداء: أداء المدرس من ناحية، والتنظيم التربوي من ناحية أخرى .

أهمية هذه الورقة العلمية

تتطلب مهنة التدريس من المدرس ضرورة استعمال جميع قدراته المهارية، التدبيرية، والنفس-اجتماعية بصورة متكاملة وذلك للرفع من كفاءته وتحسين أداءه المهني. ولقد تقاربت طرق تدريب وتكوين المدرسين إلى درجة كبيرة خلال السنوات الأخيرة، مما أوجب ظهور الحاجة الى المزيد من الاهتمام بالجوانب السيكوسوسيولوجية في برامج تكوين المدرسين (التكوين الأساس، والمستمر).

بهذا، فالمهارات السيكوسوسيولوجية تمثل بعدا مهما في الرفع من الأداء المهني للمدرس وتغيير اتجاهاته وتمثلاته وتصوراته الإدراكية نحو مهنة التعليم، ونحو الذات والآخرين، فقد صار ينظر إليها كأحد الأسس الأساسية التي يجب العناية بها جنبا إلى جنب مع المهارات البيداغوجية والمعرفية على اعتبار أن مهنة التدريس مهنة علائقية.

ومن أهم الأسباب التي دعتنا إلى اختيار هذا الموضوع كموضوع للتحليل والمناقشة نجد:

- لفت أنظار واهتمام الباحثين و المتخصصين في الميدان التربوي و العلوم النفسية إلى موضوع التكوين السيكوسوسيولوجي، ومدى مساهمته في تحسين الأداء المهني للمدرس و الأداء الدراسي للمتعلم، وذلك انطلاقا من تحسين المستوى العلمي والبيداغوجي والمعرفي و العلائقي للمدرس.
- أهمية التكوين النفسي الاجتماعي في المهن العلائقية.
- بقدر احتياج المدرس للتكوين البيداغوجي فهو بحاجة أيضا لتكوين سيكوسوسيولوجي.
- أهمية حماية المدرس من المخاطر النفس- اجتماعية Psychosocial risks في العمل.
- صعوبة مهنة التدريس في ظل التغيرات التي يعرفها المجتمع و التطور المعرفي و التكنولوجي.
- أهمية المهارات النفس-اجتماعية للمدرس في نجاح العلاقة التربوية.
- قد تعتبر هذه الدراسة منطلق لدراسات مستقبلية نظرا لحداثة موضوعها وجدته، ونظرا لما من آفاق واعدة وخصبة تسمح للمدرسين باستثمار نتائجها في عملية التجديد التربوي .

واستنادا إلى ما سبق، نطرح الإشكالية البحثية لهذه الورقة العلمية كالآتي :

- ما المنظور السيكوسوسيولوجي في ميدان التربية والتعليم؟
- ما مفهوم التكوين؟ وما مفهوم التكوين السيكوسوسيولوجي؟
- وما الأهداف التي يتوخاها التكوين السيكوسوسيولوجي ؟

1. المنظور السيكوسوسيولوجي: مقاربة لتناول الموضوع

إن مقاربات التكوين في الميدان التربوي - التعليمي بكل معطياتها ونتائجها المتتالية والمتراكمة عبر سيرورة التطور والنمو ساهمت في تقدمها وبلورتها مقاربات علمية مختلفة، كل واحدة من زاوية اهتمامها الخاصة سواء على المستوى النظري أو على المستوى المنهجي، ومن هذه المقاربات نجد علم النفس الاجتماعي .

فعلم النفس الاجتماعي يمكن تعريفه [2] بأنه ميدان من الميادين الأساس لعلم النفس، يهتم بدراسة التفاعل الاجتماعي social interaction بين الفرد والجماعة أو التفاعلات التي تحدث بين الأفراد interindividual داخل الجماعة أو داخل المجتمع أو بين الجماعات فيما بينها intergroup (De Lamater & Myers, 2007; Maisonneuve, 1973) وما ينتج عن هذا التفاعل من اكتساب الفرد لأساليب وأنماط سلوكية معينة ولاتجاهات و ثمثلات و لمعايير اجتماعية .

في هذا الصدد، فعلم النفس الاجتماعي social psychology كما يدل اسمه يتحدد كمشروع علمي مشترك بين علم النفس psychology وعلم الاجتماع sociology، فهو بذلك " يتضمن الموضوعات المتداخلة المشتركة بين علم النفس وعلم الاجتماع" (حامد عبد السلام زهران، ص 16)، فهو يجمع بين ما هو نفسي وما هو اجتماعي ضمن مقاربة واحدة ينصهر فيها البعد النفسي والاجتماعي. فعلم النفس الاجتماعي يتسم بمقاربته للفرد بوصفه كائنا علائقيا بامتياز من خلال محاولته لفهم وتفسير دينامية التفاعل النفس-اجتماعي، وما ينتج عن هذا التفاعل من ظهور مجموعة من الظواهر والآليات النفس-اجتماعية التي تنمو في حضن عملية التفاعل.

في ميدان التربية والتكوين، فعلم السيكوسوسيولوجيا في صيغته العلمية الراهنة، هو علم نظري وتطبيقي (تدخلي) يركز على مقاربة، ومساءلة الظواهر التربوية، بالاعتماد على المفاهيم، والمناهج، والنظريات، والتقنيات، والمناهج السيكوسوسيولوجية لصياغة قوانين وتصورات بإمكانها أن تسلط الضوء على الفعل التربوي والممارسة المهنية للمدرس من أجل الفهم، والتفسير، والقدرة على التدخل من خلال اقتراح حلول عملية لمختلف الإشكالات في الوسط التربوي-التعليمي.

وفق هذا المعنى، فالسيكوسوسيولوجية في مجال التربية و التكوين تهدف إلى إمداد المدرس بالنظريات و المعلومات و التقنيات المنهجية التي تدعم فهمه " لأسس النمو النفسي الاجتماعي للفرد و معرفته لطبيعة العلاقات الاجتماعية التي تنشأ بين التلاميذ بعضهم البعض و بينهم و بين المربي و كذلك العوامل المؤثرة فيها " (حامد عبد السلام زهران، ص 20)، وفهمه أيضا لمختلف الظواهر النفسية الاجتماعية داخل جماعة الفصل الدراسي كالقيادة و طرق التواصل و التأثير الاجتماعي وديناميةالجماعة و الاتجاهات و تغيير الاتجاهات و التمثلات الاجتماعية، الخ. ذلك أن "سلوك الطفل داخل الفضاء الدراسي لا يتحدد بالخصائص الفردية الذاتية فحسب، وإنما هو حصيلة تفاعل متصل بين المكونات الفردية والمؤثرات الصادرة عن المحيط الأسري والاجتماعي الذي يندرج فيه والجماعة التي ينتمي إليها" (المطيلي، 2018، ص 54).

وبالتالي، فالمجال التربوي حسب هذه المقاربة هو مجال نفسي اجتماعي، ويقصد به مختلف الظواهر النفسية الاجتماعية التي تقع ضمن هذا المجال للفرد داخل الجماعة التي ينتمي لها. وفق هذا المعنى، يرى مبارك ربيع بأن المجال المدرسي هو مجال " نفسي اجتماعي صميم، لا يمكن فيه فصل الظواهر النفسية في الأفراد، عن الظواهر الاجتماعية الخاصة بالمجموعات الصغرى التي تلتقي فيه وتتفاعل في إحداث الظواهر التربوية " (مبارك ربيع، 1991، ص 137).

---

[2] تعريف أي علم من العلوم خاصة منها العلوم الإنسانية أمر جد صعب لأنه يجب الأخذ بعين الاعتبار الكثير من العوامل المختلفة لكي يعكس التعريف المجال بأسره و ليس جزءا منه. و تعريف علم النفس الاجتماعي لا يستثني من ذلك، لأنه يعتبر مغامرة على حد قول كاليسون Galisson Robert، فهو ميدان خصب و غني بموضوعاته و علم ينمو و يتغير بصورة سريعة جدا، فتظهر فيه الموضوعات الجديدة و المتجددة كل عام والدراسات فيه في تطور مستمر، و لذلك فإن أي تعريف يكون مقبولا اليوم يصبح في المستقبل متجاوزا. في ميدان التربية فالدراسات النفس-اجتماعية تتزايد باستمرار خاصة منها ظاهرة الجماعات الصغرى، و ظواهر أخرى كالقيادة و التواصل في الصف التربوي و التمثلات الاجتماعية و التأثير و أثر المناخ الدراسي على الرفع من الأداء الدراسي للمتعلم، الخ.

2 . تعريف مفهوم التكوين السيكوسوسويولوجي

2.1 مفهوم التكوين

التحديد اللغوي:

التكوين لغة هي مفردة مشتقة من كلمة كوّن يكّون، وتعني كوّن الشيء أو أوجده أو أنشأه أو صنعه. يعرف المنجد في اللغة والاعلام مفهوم التكوين بأنه " كون تكوين الشيء، أحدثه وأوجده، والتكوين إخراج المعدوم من العدم الى الوجود (1973، ص 704). ويعني ايضا، كوّن الشيء أي أحدثه وأوجده – كوّن أجيالا من الطلبة أي علمهم ودربهم على اكتساب المعرفة (البستاني، 1986، ص 662).

التعريف الاصطلاحي :

مما لا شك فيه أن مفهوم التكوين Formation شأن أي مفهوم آخر في العلوم النفسية والتربوية تعرّض لاتجاهات مختلفة، ويرجع السبب في ذلك إلى وجود مجموعة من الاتجاهات لدى المتخصصين في الحقل التربوي التكويني، فقد حاولوا الوقوف على تحديده وتعريفه، الأمر الذي ترتب عنه إعطاء تعاريف مختلفة له، كما أن مفهوم التكوين أصبح من المواضيع الاستراتيجية في الوقت الراهن، نظرا لأهميته الكبيرة لدى الفرد في جميع جوانب شخصيته.

يعرف بأنه "مجموع العمليات التي بفضلها تتم تنمية قدرات وأداء الفرد وتنظيم جميع الإجراءات التي تساهم في جعله فعالا في انتمائه المهني، سواء أكان ذلك قبل الخدمة أو أثناءها، فهو عملية تدخل من أجل تحقيق أهداف محددة مسبقا من أجل إكساب المكون مجموعة من المعارف النظرية والتطبيقية في ميدان ما (تركي رابح، 1990، ص 215). كما أنه مجموعة من الدورات والبرامج القصيرة أو الطويلة التي تنقضي بمنح المدرس مؤهلات وكفايات وتسعى إكسابه مجموعة من الخبرات المهارية والمعرفية والوجدانية اللازمة للرفع من المستوى العلمي والأداء التربوي والأكاديمي من الناحية النظرية والتربوية (الكرمي، 2011، ص 73- 74).

من خلال ما سبق، نستنتج أن عملية التكوين في المجال التربوي- التعليمي هي عملية مستمرة ومركبة، تحتوي على مجموعة من البرامج والدورات المنظمة والمخطط لها، والتي تهدف الى إكساب المدرس المهارات والكفاءات المهنية والتعليمية والقدرات والاتجاهات النفسية الاجتماعية التي تسهم في تحقيق فعالية الأداء المهني، ومسايرة التغيرات والتطورات المستقبلية.

كما أن هناك العديد من المفاهيم القريبة والمترادفة مع مفهوم التكوين كالإعداد والتطوير أو التدريب أو التأهيل. وتتكون البرامج التكوينية من مجموعة من الأنشطة النظرية والتطبيقية التي يحتاجها المتكون، مع الأخذ بعين الاعتبار التوافق بين النشاطين النظري والتطبيقي بما يتماشى مع ثلاث جوانب أساس وهي حاجات المدرسين المتكونين، وأهداف النشاط التكويني، والوسائل المستعملة لتحقيق نجاح التكوين.

ومن بين أهم الأهداف المتوخاة من عملية التكوين: أولا، مواكبة المدرس للمستجدات العلمية في مختلف المقاربات التكوينية ذات العلاقة بمهنة التدريس كعلم النفس والسيكولوجيا والسيكوسوسيولوجيا والعلوم التربوية، إلخ، والتي تساعدهم في تجويد الممارسة المهنية وتنمية مداركم وخبراتهم بالمشكلات في الوسط التربوي وحلها. ثانيا، تعزيز الشعور بالكفاءة الذاتية والثقة في النفس بالقيام بمهامهم دون الاعتماد على الغير، وهذا بفضل المعارف التي يحصلون عليها من التكوين .

2.2 مفهوم التكوين السيكوسوسيولوجي

التكوين السيكوسوسيولوجي في المجال التربوي- التعليمي الخاص بالمدرس هو عملية مستمرة تتضمن مجموعة من البرامج التكوينية النظرية والتطبيقية المخطط لها، والتي تندرج ضمن تخصص علم النفس الاجتماعي التطبيقي في ميدان التربية والتكوين. وتهدف هذه البرامج إلى إكساب المدرس المهارات النفس-اجتماعية والمهنية والعلائقية اللازمة لممارسة مهنة التعليم بفعالية ونجاعة من أجل بلوغ تدريس هادف.

في هذا الصدد، فموضوع تكوين المدرس لم يعد يقتصر على ما هو سيكولوجي متعلق بذات المدرس و الحفاظ على صحته النفسية و العقلية و توازنه الوجداني، أو تزويده بمختلف المعارف النظرية المتعلقة بسيكولوجية الطفولة، و المراهقة أو بعض ميادين علم النفس (كعلم النفس التربوي وسيكولوجية التعلم، الخ)، لكن، التكوين حاليا اتسع ليشمل، إضافة إلى ما سبق ذكره، العمل على الأخذ بعين الاعتبار الجانب النفس- اجتماعي و العلائقي التفاعلي للمدرس داخل جماعة القسم، و ذلك على اعتبار أن مهنة التعليم هي مهنة علائقية relational profession بامتياز بما يتوجبه ذلك من استحضار دائم من لدن المدرس لهذه الخصيصة العلائقية المميزة لهذا الحقل على الخصوص.

اللافت على نحو دال، أن التكوين السيكوسوسيولوجي للمدرس يستهدف:

- التمكن من المعارف النظرية والمفاهيم الأساسية في علم النفس الاجتماعي.
- العمل على تغيير اتجاهات وتمثلات المدرس نحو ذاته ونحو المهنة والآخرين (من متعلمين وزملاء وأطر إدارية) مما ينعكس على أداءه، والتزامه المهني، واندماجه السوسيومهني داخل المؤسسة .
- العمل على إكساب المدرس المهارات العلائقية، و التدبيرية اللازمة لفهم الصف الدراسي و التحكم فيه، و معرفة مختلف القوى و الظواهر المتحكمة في التفاعل الصفي، و في دينامية جماعة القسم، كمهارة التواصل التربوي الفعال، مهارة القيادة و محدداتها، و أساليبها، دور السياق الاجتماعي في الرفع من أداء المتعلمين و تجويد عملية التعلم، الوعي بظاهرة التأثير الاجتماعي بين المدرس و المتعلم و بين المتعلمين فيما بينهم (فالمتعلم يتأثر بالأخرين و يؤثر فيهم، مما يعني أن هناك تأثيرات متبادلة و ذلك من خلال موقع المتعلم السوسيو- وجداني داخل جماعة القسم و اتجاهاته و قيمه..) وما لكل ذلك من تأثير على عملية التعلم وعملية بناء التمثلات، والاتجاهات نحو ذاته ونحو الآخرين، ونحو محيط المدرسة، وبناء هويته النفس-اجتماعية والاستراتيجيات المرتبطة بها.
- تزويد المدرس بمختلف المناهج والمقاييس التي يزخر بها علم النفس الاجتماعي كطرق وتقنيات تحليل دينامية الجماعات ودراسة التمثلات والاتجاهات والقيم وإكسابه الأسلوب التفسيري العلمي الصحيح لمختلف الظواهر النفس-اجتماعية (كالعنف والهدر المدرسي، ضعف الأداء الدراسي...) والأنماط السلوكية داخل المحيط التعلمي وإكسابه مهارات المقابلة والتواصل والدعم النفسي الاجتماعي مما يساهم في مرافقة المتعلم والمساعدة على نموه السوي دراسيا وشخصيا وعلائقيا ومهنيا.

3. الأهداف التي يتوخاها التكوين السيكوسوسيولوجي لدى المدرس

لا بد بداية من القول، بأن التكوين سواء الأساس أو المستمر (أثناء مزاولة المهنة) دعامة من الدعائم الأساس التي تقوم عليها الممارسة المهنية لمهنة التدريس في مختلف الأسلاك التعليمية، كما أنه يبقى من الضروري العمل على تحيينه ومراجعة المستجدات العلمية. وهذا التحيين الضروري في المقاربات العلمية التكوينية في الحقل التربوي يرجع الى سببين، أولهما، بسبب تعقد الواقع الاجتماعي والتحولات والتغيرات النفس-اجتماعية والمهنية العميقة التي يعرفها المجتمع المغربي المعاصر، على صعيد جميع مجالاته ومؤسساته كالساحة التربوية والتعليمية والأسرية...إلخ. وثانيهما، فيما يخص الاكتشافات والأبحاث الجديدة في مجال العلوم السيكولوجية والسيكوسوسيولوجة والتربوية التي هي في تطور مستمر بهدف الإجابة عن مختلف الظواهر الجديدة التي تعرفها الساحة التربوية المغربية كإشكالية العنف المدرسي، والهدر المدرسي ومشاكل التمدرس

والاندماج الاجتماعي المتعلقة بالمتعلم أو الاشكالات أو القضايا المتعلقة بالمدرس كالرضا المهني، والالتزام المهني، والصحة النفس-اجتماعية في العمل، والقيادة وديناميةالجماعة... إلخ .

فهذه التحولات التي يعرفها المجتمع ورصد ما تفرزه من ظواهر أصبحت تستلزم التسلح بالمقاربة العلمية الجادة (المصطفى حدية، 2013، ص 3) الأمر الذي يستوجب علينا ويبرر، معرفيا وعلميا تعدد المنظورات التخصصية التي يمكن الاستئناس بها في تحليل وتكوين المدرس، خاصة الاكتشافات في ميدان السيكوسوسيولوجيا باعتبارها مقاربة جديدة ومركبة[3] ولديها منظور خاص يتميزعن منظوري كل من علم النفس وعلم الاجتماع سواء على المستوى المنهجي أو المفاهيمي أو حتى التدخلي. حيث تتوخى في ميدان التربية والتكوين، تحقيق أهداف تحت شعار الرضا والأداء والفعالية سواء على المستوى الشخصي للمدرس أو المهني أو العلائقي أو للتنظيم بشكل عام.

ولا مناص من القول، بأن التكوين بالمقاربة السيكولوجية لأول مرة كان الهدف من " إدراجها لأول مرة في برامج تكوين المدرسين، هو تزويد مدرسي المستقبل بمجموعة من المعلومات حول سيكولوجية الطفولة والمراهقة، التي من شأنها أن تساعدهم على معرفة نفسية متعلميه، واهتماماتهم، وميولهم وحاجاتهم، وتمكنهم من تكييف ممارستهم التعليمية وعلاقتهم التربوية معها (مومن، 2013، ص 31). لكن اليوم، أصبح الاقتناع أكثر بضرورة التكوين الشامل للمدرس، حيث أصبح بعد ذلك يشمل على معلومات نظرية في علم النفس، وتكوينا شخصيا، وتكوينا على العلاقة التربوية (Filloux، 1979، ص 81، عن مومن، ص 31) ويستهدف بالأساس شخصية المدرس في أبعادها السيكوسوسيومعرفية والسيكوسوسيووجدانية.

وارتباطا بكل ما تقدم وانسجاما مع الطرح الذي يؤطر هذه الورقة العلمية، فإن معظم هذه الأهداف تتمثل فيما يلي:

1- يأتي في مقدمة هذه الأهداف، إكساب المدرس مهارة معرفة و فهم ذاته، و الوعي بها داخل الفعل التربوي أو خارجه، و ما تتطلبه هذه الذات من ضبط و فهم، و إرشاد و توجيه و تعديل خاصة داخل العملية التربوية لما لها من أهمية قصوى في صحته النفسية داخل العمل، و توافقه النفس-اجتماعي، واندماجه المهني وحمايته من المخاطر النفس-اجتماعية Pschosocial risks كعدم الرضا المهني و عدم الارتياح و الضغط المهني. حيث إن " تقبل الذات وفهمها يعتبر بعدا رئيسا في عملية التوافق الشخصي (...) كما أن تقبل الذات يرتبط ارتباطا جوهريا موجبا بتقبل وقبول الآخرين" (عبد السلام زهران، 1977، ص 265). وبالتالي فلكي يتمكن المدرس من فهم المتعلمين والتفاعل الإيجابي معهم داخل الفصل الدراسي يحتاج الى فهم ذاته وتقبلها أولا. حسب نيمر Nimer (1996) فالأستاذ داخل الفصل الدراسي لا يمكننه تجاهل شخصه وذاته داخل الفعل التربوي-التعليمي، كما يرى جولمان Golman بأن معرفة الذات لدى المدرس ترتبط ارتباطا كبيرا بالوعي الذاتي الوجداني، بمعنى أن المدرس عندما يتمتع بمستوى عال من تقبل الذات والوعي بها والقدرة على توجيهها والتحكم بها، هذه المهارة تؤثر إيجابا على اتجاهاته وعلى عملية اتخاذ القرار لديه وعلى مشاعره وعواطفه وبالتالي الرفع من أداءه المهني. حيث إن المتعلم أثناء تفاعله مع المدرس يؤول عواطف المدرس والتي يتصرف ويتفاعل معها بشكل إيجابي أو سلبي حسب طريقة فهمه لها، لهذا ST-vinceint (2008) يؤكد على ضرورة معرفة المدرس لسلوكه وردود فعله حتى العفوية تجاه الوضعية التفاعلية مع المتعلمين .

في هذا الصدد، أصبح مفهوم الذات يعرف أهمية كبيرة في الدراسات السيكولوجية و السيكوسوسيولوجية، فنظرا لأهمية مفهوم الذات self concept وضع كارل روجرز Rogers نظرية حول الذات سماها بنظرية العلاج المتمركز حول العميل

[3] حسب موسكوفيسي فمن خصائص الظواهر في علم النفس الاجتماعي أنها ظواهر مركبة لأنها تتكون من تقاطعات لمتغيرات متعددة، منها الاجتماعي و الثقافي و الاقتصادي و السيكولوجي، فهي لا تنفصل عن منطق التفاعل بين الأنا و الآخر (الفرد\الجماعة) سواء في العلاقة مع الذات أو مع ظواهر الواقع (1984).

Person- centred therapyو قد بين بأنه بالرغم من أن مفهوم الذات ثابت و قار إلى حد ما لدى الفرد (لأنه يرتبط بمسار نموه النفسي الاجتماعي و المعرفي، و أيضا نتيجة مختلف التجارب الشخصية و المؤثرات الاجتماعية التي يتعرض لها الفرد)، إلا أنه بالرغم من صفة الثبات، فيمكن تعديله تحت ظروف العلاج النفسي المتمركز حول العميل، و ذلك من خلال إحداث تغيير و تجديد و تعديل في مفهوم الذات لدى المدرس مما يساهم في تغيير تصوراته الإدراكية و اتجاهاته ومعتقداته، أولا حول نفسه، وثانيا حول مهنته والمتعلمين ومختلف الفاعلين التربويين الذين يتفاعل معهم. وبالتالي فالتكوين السيكوسوسيولوجي يهدف إلى إكساب المدرس مهارة التحكم وفهم الذات وإدارة وتفريغ المشاعر واكسابه الطرق السوية لكيفية تفريغ وفهم الرغبات والصراعات الواعية واللاواعية، والتوترات مما يساهم في تكوين مفهوم موجب للذات يساهم في التكيف النفس-اجتماعي السوي من جهة تجاه نفسه ونحو المتعلمين والآخرين الذين يتفاعل معهم، ومن جهة اخرى تغيير اتجاهاته وتمثلاته نحو المهنة والحياة بصفة عامة.

2 - الهدف الثاني للتكوين السيكوسوسيولوجي هو تزويد المدرس بالمعارف والخبرات التي تنمي لديه مهارة معرفة أسس عملية النمو النفسي الاجتماعي و السلوك الاجتماعي للطفل التلميذ و العوامل المتحكمة و المؤثرة فيه، و ايضا معرفة سيكولوجية الطفولة و المراهقة و ذلك من أجل المساهمة في نمو سوي للمتعلم على المستوى النفسي و الاجتماعي مما يساهم في نجاح عملية التنشئة المدرسية للمتعلم.

3 - الإلمام بدينامية جماعة القسم: تركيبتها و بناؤها و أهدافها و مختلف العوامل و القوى المتحكمة في تماسك الجماعة واستمراريتها للحفاظ على التماسك و المناخ النفسي-اجتماعي لسياق عملية التعلم .

4 - الإلمام بسيكولوجية القيادة داخل الفصل الدراسي، نظرياتها و دورها في الجماعة و التفاعل الاجتماعي و تأثير مختلف أنواع القيادة على سلوك أفراد الجماعة و توجيه سلوكهم في سبيل بلوغ هدف المجموعة، حيث إن للجماعة و قائد المجموعة أثر كبير في تحديد و تغيير سلوك المتعلمين .

5 - إكساب المدرس معرفة أسس عملية التنشئة الاجتماعية، لما لها من أهمية قصوى في تشكيل السلوك الاجتماعي للفرد، و مختلف العلاقات التي تؤثر فيها، ومعرفة مختلف العوامل و المؤسسات التي تسهم في تنشئة الطفل-المتعلم منذ مرحلة الطفولة الصغرى إلى مرحلة المراهقة.

6 - إدراك المدرس تأثير بعض الظواهر السيكوسوسيولوجية (مثل الصور النمطية، القيم، الأحكام المسبقة، التمييز، التصنيف الاجتماعي، المعرفة الاجتماعية....) على العلاقات بين الأفراد داخل الجماعة (وبين الجماعات فيما بينها) مما يساهم في الحفاظ على تماسك المجموعة، وتحسين التفاعل البين-الفردي والتواصل داخل جماعة القسم بين المدرس والمتعلمين وبين المتعلمين فيما بينهم.

7 - التمكن من مختلف المناهج و الطرق العلمية التي يزخر بها علم النفس الاجتماعي التدخلي في ميدان التربية، و التكوين، و من تحصيل المهارات الأساسية في البحث العلمي، و التمكن من الأسلوب العلمي الدقيق الذي يضمن الوصول للنتائج السليمة، و إلى الفهم العلمي الموضوعي لمختلف الظواهر و الإشكالات التي تعرفها منظومة التربية والتعليم (كالعنف المدرسي، الهدر المدرسي، نقص الدافعية لدى المتعلمين، السلوك العدواني، الخ) و إعطاء حلول عملية لها.

ولتحقيق هذه المرامي، والأهداف، فإن هذه البرامج التي تدخل في الجوانب التكوينية للمقاربة السيكوسوسيولوجية، تؤمن بضرورة ترجمتها إلى أهداف سلوكية، وإجرائية، ينبغي أن يتحكم فيها المدرس تدريجيا.

خلاصة

كانت تلك إذن أهم التصورات، و أبرز التوجهات للمقاربة السيكوسويولوجية للتكوين لدى المدرسين، التي لا نرى محيدا عن مقاربة مضامينها، و توظيف بعض أسسها، و أفكارها في مجال التأسيس و الرفع من البنية التحتية لمنظومة تعليمنا بالمغرب، التي لن يتحقق نجاحها في بلوغ غاياتها و أهدافها في غياب خطة مضبوطة لإعادة بنائها على أسس نظرية، وعلمية و إجراءات عملية جديدة يوجهها من جهة، منطق دينامية التغير و التحولات المستمرة التي يعرفها حاليا المجتمع المغربي في جميع مناحي الحياة، و من جهة أخرى، فإن هذه التصورات و التوجهات للمقاربة السيكوسويولوجية توجهها المستجدات العلمية، و متطلبات الممارسة المهنية للمدرسين. ونعتقد أن أنجع سبيل إلى تحقيق مثل هذه الغايات هو الذي يتجلى في إعداد المدرس وتكوينه تكوينا رصينا بما يتماشى مع احتياجاته في جميع النواحي: المعرفية، والبيداغوجية، والسيكوسوسيولوجية منها على الخصوص والتي تتماشى مع مختلف المرتكزات التي تساعد المدرس على النجاح الفعلي في ممارساته التربوية، والقيام بمهامه التي تتنوع وتتعقد على الدوام.

فحوى القول، فإنه لا يعقل أن نسعى لتطوير القدرات المعرفية للمتعلم ما لم يتم تطوير قدرات المدرس معرفيا وبيداغوجيا وسيكوسوسيولوجيا على وجه التحديد. وبالتالي، فهل يؤهل التكوين النفسي والسيكوسوسيولوجي الذي يتلقاه المدرسون المغاربة في مرحلة التكوين (الأساس والمستمر) لمواجهة تعقد الواقع النفس- اجتماعي من جهة، والمهني من جهة أخرى؟ أم واقع الأمر يقتضي ويفرض دق ناقوس الخطر فيما يتعلق بالتكوين السيكوسوسيولوجي على اعتباره مدخلا أساسا ورافعة مهمة في برنامج إصلاح منظومة التربية والتعليم.

المراجع

- العلمي محمد (2017). تطوير العملية التربية وتجويد الممارسات الصفية. المجلة العلمية الدولية للتربية والتكوين. مجلد1، عدد 2. صفحات: من 206 الى 214. المغرب .
- الكرمي جمال عبد المنعم (2011). إعداد المعلم بيم الواقع والمأمول، الإسكندرية، مؤسسة حورس للنشر والتوزيع.
- تركي رابح (1990). أصول التربية والتعليم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- جحيدي إدريس (2007). الكفايات اللامتناهية التعليمية بين تقليدية التكوين وجاهزية البرامج. تأليف مجموعة من الباحثين، التدريس بالكفايات رهان على جودة التعليم، مجلة علوم التربية، مطبعة النجاح الجديدة. ص-ص: 104- 120.
- حدية المصطفى (2018). الشباب وتحديات الاندماج في مجتمع المعرفة. مطابع الرباط نت.
- حدية المصطفى (2017). قضايا في علم النفس الاجتماعي، المجلة المغربية لعلم النفس، الرباط.
- حدية المصطفى. (2013). دراسات حول الطفولة والشباب: مقاربة نفسية اجتماعية. مطابع الرباط نت.
- زهران عبد السلام (1977): علم النفس الاجتماعي، الطبعة الرابعة، عالم الكتب .
- المطيلي أحمد (2018). علم النفس المدرسي - معالم نظرية ومنهجية وتطبيقية. مطبعة الهداية تطوان، الطبعة الأولى: 2018.
- مومن محمد (2013). التكوين السيكولوجي للمدرسين. دفاتر التربية والتكوين. صفحات: من 29 الى 37.

- Basco, L. (2001). La construction de la personne enseignante au travers des différents états du soi professionnel. INRP : Institut National de Recherche Pédagogique.

- Conseil Supérieur de l'Enseignement (2008). Etat et perspectives du système d'éducation et de formation : métier de l'enseignant (Rapport annuel N° 4).
- Conseil Supérieur de l'Éducation, de la Formation et de la Recherche Scientifique (2018). La promotion des métiers de l'éducation, de la formation, de la gestion et de la recherche.
- Filloux, J (1994). La formation psychologique des enseignants, In : colloque sur la formation des enseignants, 18, 19, 20 octobre, P-P : 77-86.
- John D. DeLamater, Daniel J. Myers (2007): Social Psychology, International student edition, Thomson Higher Education.
- Jean Maisonneuve (1993). Introduction à la psychosociologie. Paris, Presses Universitaires de France.
- Moscovici, S et al. (1984) Psychologie sociale, Paris : PUF.
- Nimier, J (1996). La formation psychologique des enseignants. Presse Universitaire de France.
- St-Vincent, L.-A. (2008). Le pouvoir de l'enseignant messager. Vie pédagogique.